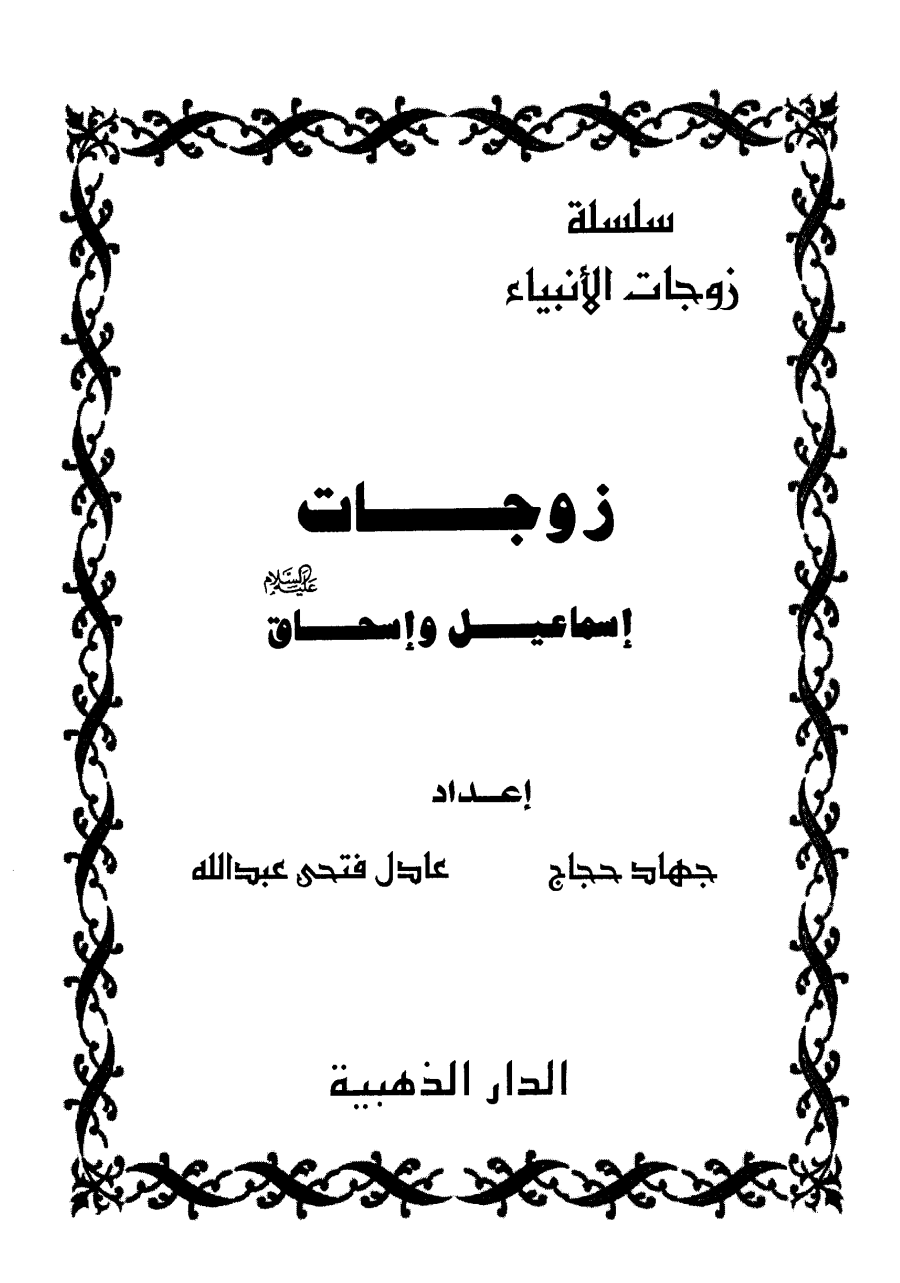


سلسلة
زوجات الأنبياء

زوجات
إسماعيل وإسحاق عليهما السلام

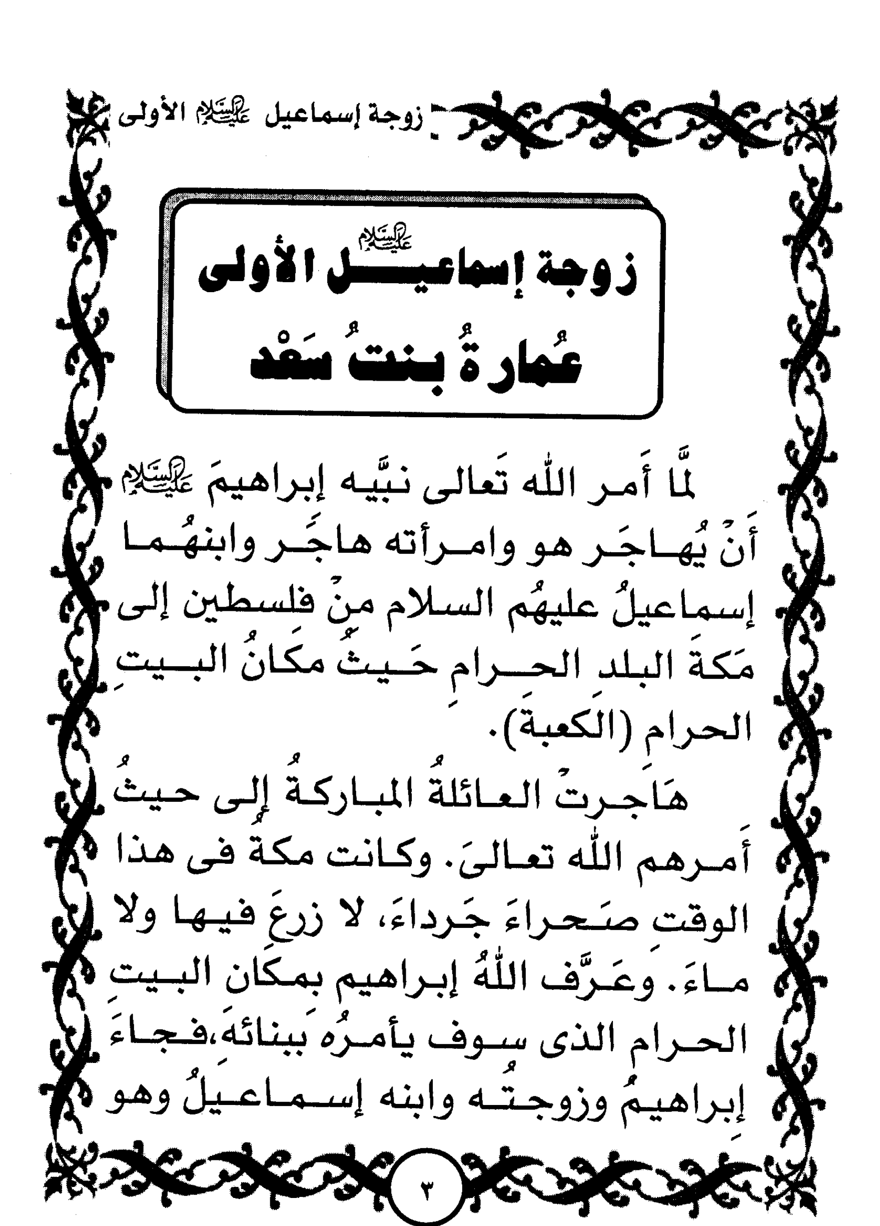
إعداد
جهاد حجاج   عادل فتحي عبدالله

الدار الذهبية



الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع

٨ ش الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت : ٣٩١٠٣٥٤ - فاكس : ٧٩٤٦٠٣١



زوجة إسماعيل عليه السلام الأولى
عُمارةُ بنتُ سَعْد

لمَّا أَمر الله تَعالى نبيَّه إبراهيمَ عليه السلام أَنْ يُهاجَر هو وامرأته هاجَر وابنهُما إسماعيلُ عليهُم السلام منْ فلسطين إلى مَكةَ البلدِ الحرامِ حَيثُ مكَانُ البيتِ الحرام (الكَعبة).

هَاجرتْ العائلةُ المباركةُ إلى حيثُ أَمرهم الله تعالىَ. وكانت مكة فى هذا الوقتِ صَحراءَ جَرداءَ، لا زرعَ فيها ولا ماءَ. وعَرَّف اللهُ إبراهيم بمكَان البيتِ الحرام الذى سوف يأمرُه َببنائهَ،فجاءَ إبراهيمُ وزوجتُه وابنه إسماعيلُ وهو

حينذاك طفل رضيع إلى هذا المكان. ثمَّ تركهمَا إبراهيمُ عليه السلام ليَرحلَ إلى الشَام.

وكان المكانُ قَفراً، لا زرعَ فيه وَلا ماءَ. فقالتْ هَاجرُ عليها السلام لزوجها إبراهيمَ عليه السلام: إلى أين ترحلُ وتتركنا هُنا، بلا أنيس وَلا جليس؟! وليسَ معَنا منَ الطَعام والشَراب مَا يكفَينا إلا قليلاً؟!

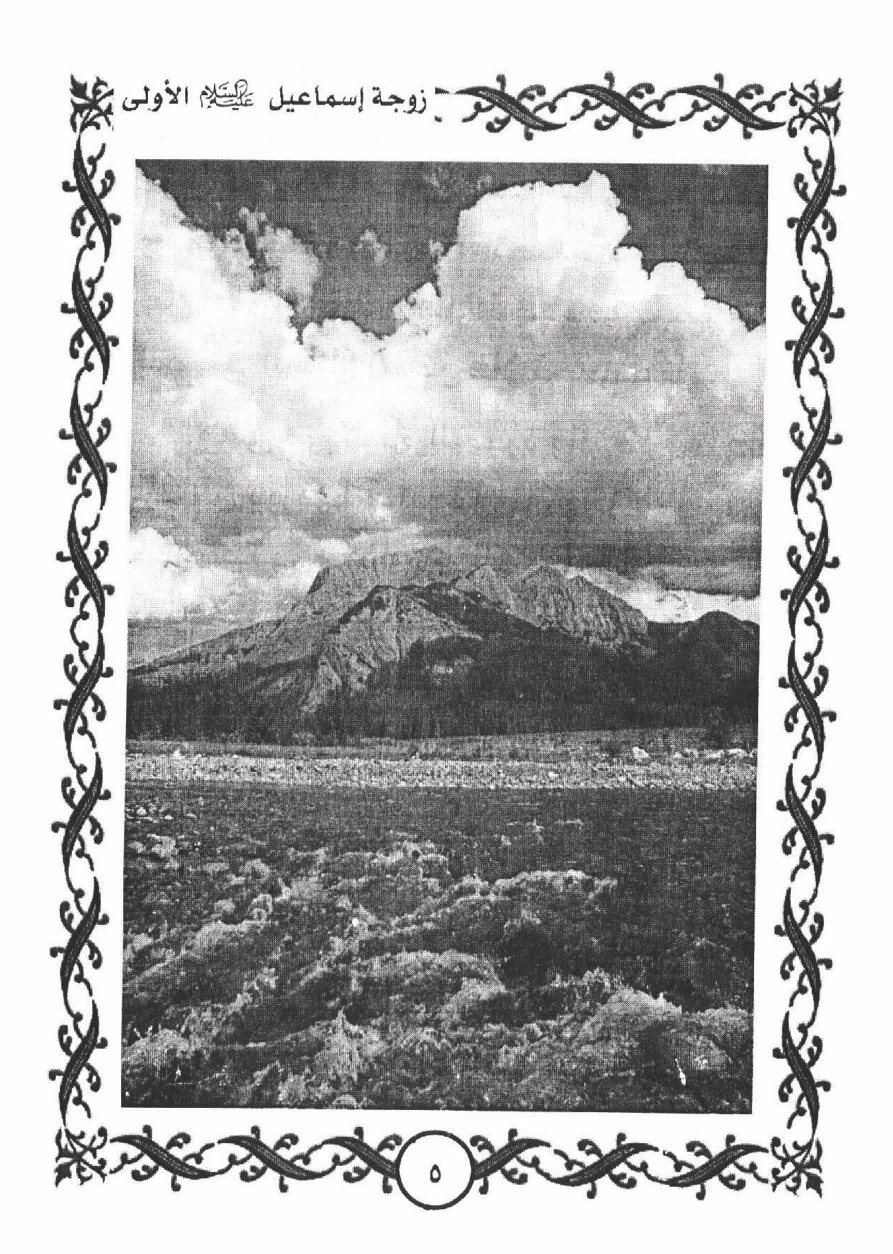
فَنظرَ إليها خَليلُ الرَّحمن إبراهيمُ عليه السلام ولمْ يردَّ عَليها.

فقالتْ: آللّهُ أمركَ بهذا؟!

قال: نَعمْ.

قالتْ: إذنْ لنْ يُضيعنا اللّهُ أبداً..

ثمَّ لما نَفذَ الماءُ والزادُ، وعَطشَ إسماعيلُ الرضيع واشتدَّ به العطشُ، وخَافتْ عَليه هَاجرُ منَ الهلاكِ، وذَهبتْ تَطلبُ النجدةَ مِنْ هُنا وهُناك.



ولمْ يَكُنْ أَمـامَ هاجـرَ سـوى جَـبَلَيْنِ وهُما الصفَا والمَرْوَةُ.. تَصعدُ هَذا تَبحثُ عَن ماء أو غـذاء فَلا تجد، فَتهبطُ مِنه لتصعدَ الجبلَ الآخَر فلا تجد شيئاً..

وهِى فِى شدَّة الحَيْرَة والتعب وتدعو الله أَنْ يرزُقَها وَوليدَها الماءَ والزادَ، وبَينما هى تَسعى هكَذا بين الصفا والمروةِ حتَّى بَلغتْ سـبـعـةَ أشـواط، بَحـثـاً عـنِ الماءِ والزادِ، إذا بها تسمعُ خرِيرَ الماءَ!

مَا هَذا؟! مَاذا حَدث؟ ومِنْ أَينَ جَاء هَذا الماءُ؟

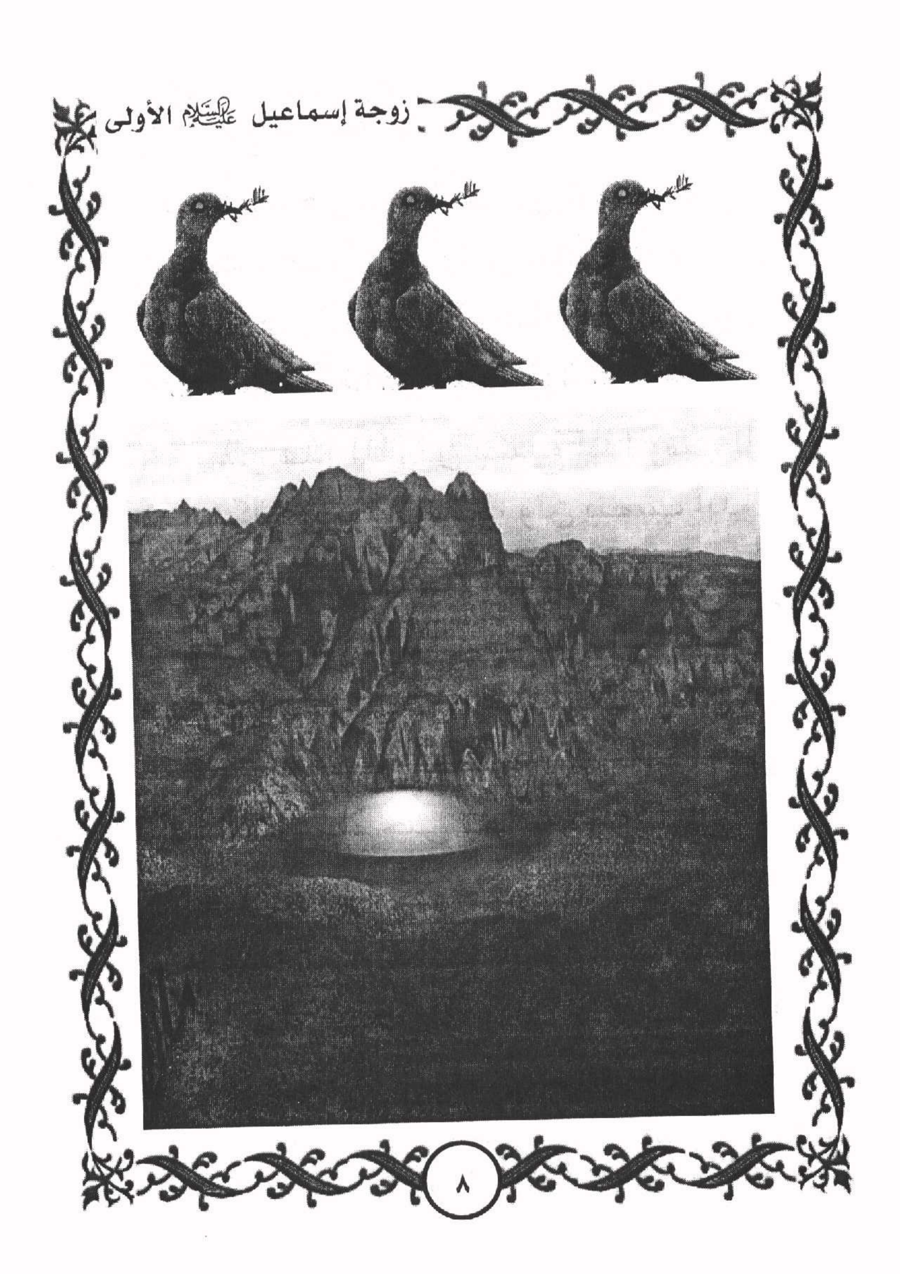
إنهـا المعجـزةُ الكُبرى، إنَّ الله تَعـالى جَـعلَ الماءَ يَنْبُعُ مِنْ تحت أقْـدام الوليـد الصغيـر، فبينما إسماعيلُ الرضيعُ يبحثُ برجلهِ الأرضَ إذْ نبـعتْ مِنهـا الماءُ..

فجاءتْ هاجرُ فرحةً مسرورةً مستبشرةً، وأخذتْ تَحبسُ الماءَ وهى خائفةٌ عليه منَ الضياعِ فى الصحراء، فَنادَاها (جبريلُ) عليه السلام: أنْ لا تَخافى فإنَها رواءُ.

يَعنى هذا الماء لَن يضيعَ أَبداً وسيظلُّ ينبعُ هكَذا ويروى الناسَ، ولن ينضب أبداً.

ثم جاءَ ركبٌ منْ الناس منْ قبيلةٍ تُسمَّى «جُرهمٍ» وهمْ مُرتَحلونَ إلى اليمنِ، فَوجدوا طيراً يحُومُ حولَ هذاَ المكانَ... فتعجَّبوا، وسأل بَعضُهم بَعضاً، هَلْ فَى هَذا المكانِ ماءٌ حتَّى يَحومَ حَوله الطيرُ؟!

فاقتَربوا فَوجدِوا الماءَ، وَوجدُوا هاجرَ وابنَها، فَاستَأذنوها أنْ يسكنُوا بجوارها حيثُ الماءُ والزرعُ، فَيزرعوا الأرضَ، ويأكُلوا منِها، ويَشربوا من الماءِ..



وكانتْ هذه أمنيةُ هاجرَ ودعوةُ إبراهيمَ عليه السلام، حيثُ قالَ إبراهيمُ: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾(١)

ومرَّتْ الأيامُ والسنون وكَبُرَ إسماعيلُ وأصبحَ شاباً يافعاً وماتتْ هاجَرُ عليها السلام، فتزوَّج إسماعيلُ امرأةً مِنْ هذه القبيلةِ (قبيلةِ جُرهم). وهم قبيلةٌ مِنَ العربِ، فتعلَّمَ إسماعيلُ منهم اللغةَ العربيةَ وأصبحَ أفصحَ الناس وأبلغهم.

ولما تزوَّج إسماعيلُ هذه المرأةَ الجُرهمية وكانتْ تدعى «عِمارةُ بنتُ سعدٍ بن

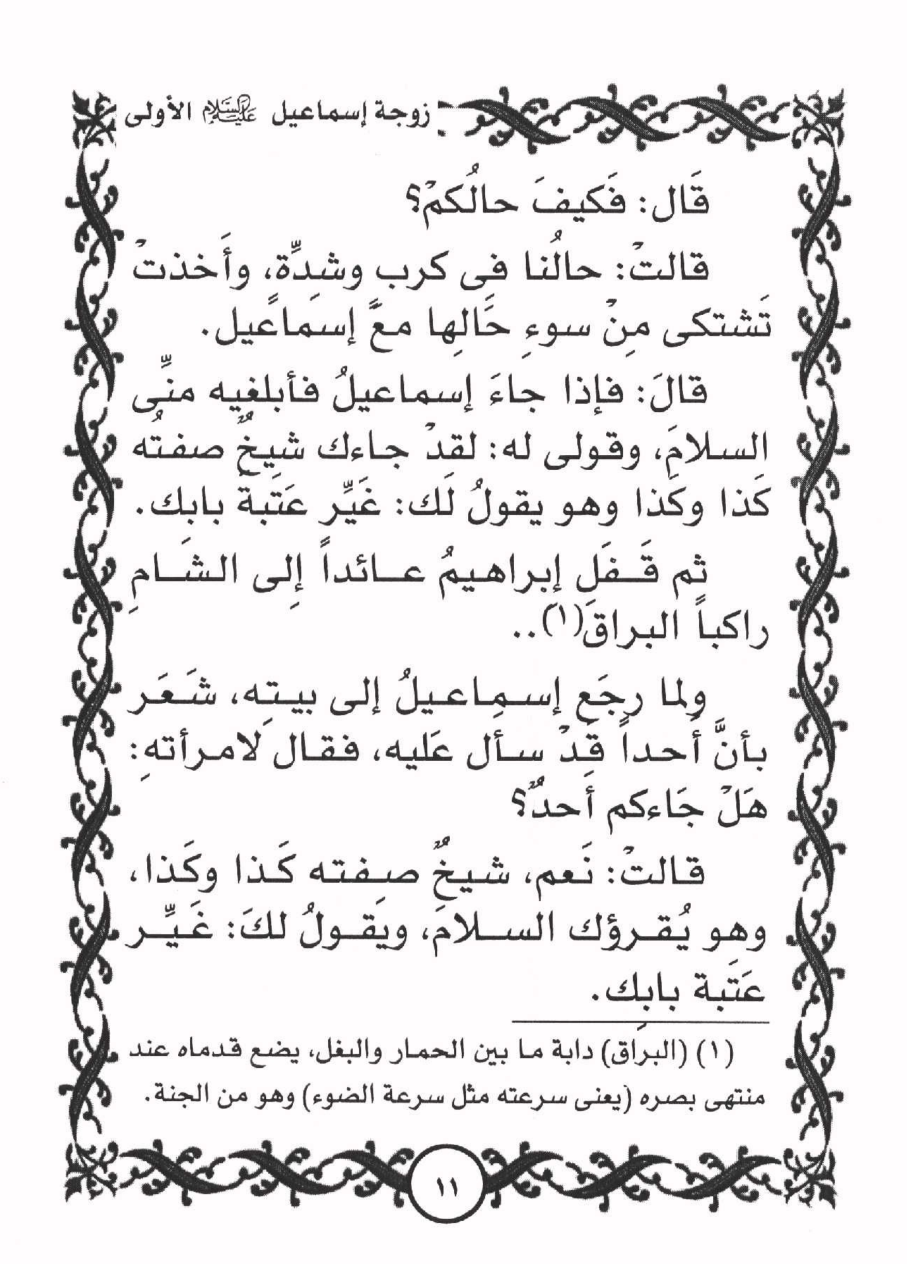
(١) سورة إبراهيم الآية ٣٧.

أسامةَ بن أكلِيل العَماليقى»(١) زاره أبوه إبراهيمُ عليه السلام، ولمْ يكنْ يعلمُ بزواجه منْ عمارة هذه، وكان إبراهيمُ عليه السلام يتعهَّدَ إسماعيلَ وأمِّه هاجرَ بالزيارة منْ حين لآخر، فكانَ يَركبُ (البراق) منَ الشَّام إلىَ مكة يطمئنُ على إسماعيلَ وأمه ثم يعودُ قافلا إلى الشام. وفى إحدى زيارات إبراهيمَ عليه السلام لابنهَ وامرأته هاجرَ وجَدَ هاجرَ قدْ توفِّيت، وإسماعيلَ قد تزوَّجَ منْ هذه المرأة، لكنه لم يكنْ حينذاك مَوجوداً في البَيت. فَسأل إبراهيمُ امرأةَ إسماعيلَ: أين إسماعيلُ؟

قالتْ: خرجَ يَبتغى لَنا (يعنى يبتغى الرزقَ).

---

(١) «البداية والنهاية (١٩٢/١) للحافظ ابن كثير - مكتبة المعارف - بيروت.



قَال: فَكيفَ حالُكمْ؟

قالتْ: حالُنا في كرب وشدِّة، وأَخذتْ تَشتكى مِنْ سوءِ حَالِها معً إسمَاعيل.

قالَ: فإذا جاءَ إسماعيلُ فأبلغيه منِّى السلامَ، وقولى له: لقدْ جاءك شيخٌ صفته كَذا وكذا وهو يقولُ لَك: غَيِّر عَتبة بابك.

ثم قَفَل إبراهيمُ عائداً إلى الشامِ راكباً البراقَ[1]..

ولما رجَع إسماعيلُ إلى بيته، شَعَر بأنَّ أحداً قدْ سأل عَليه، فقال لامرأتهِ: هَلْ جَاءكم أحدٌ؟

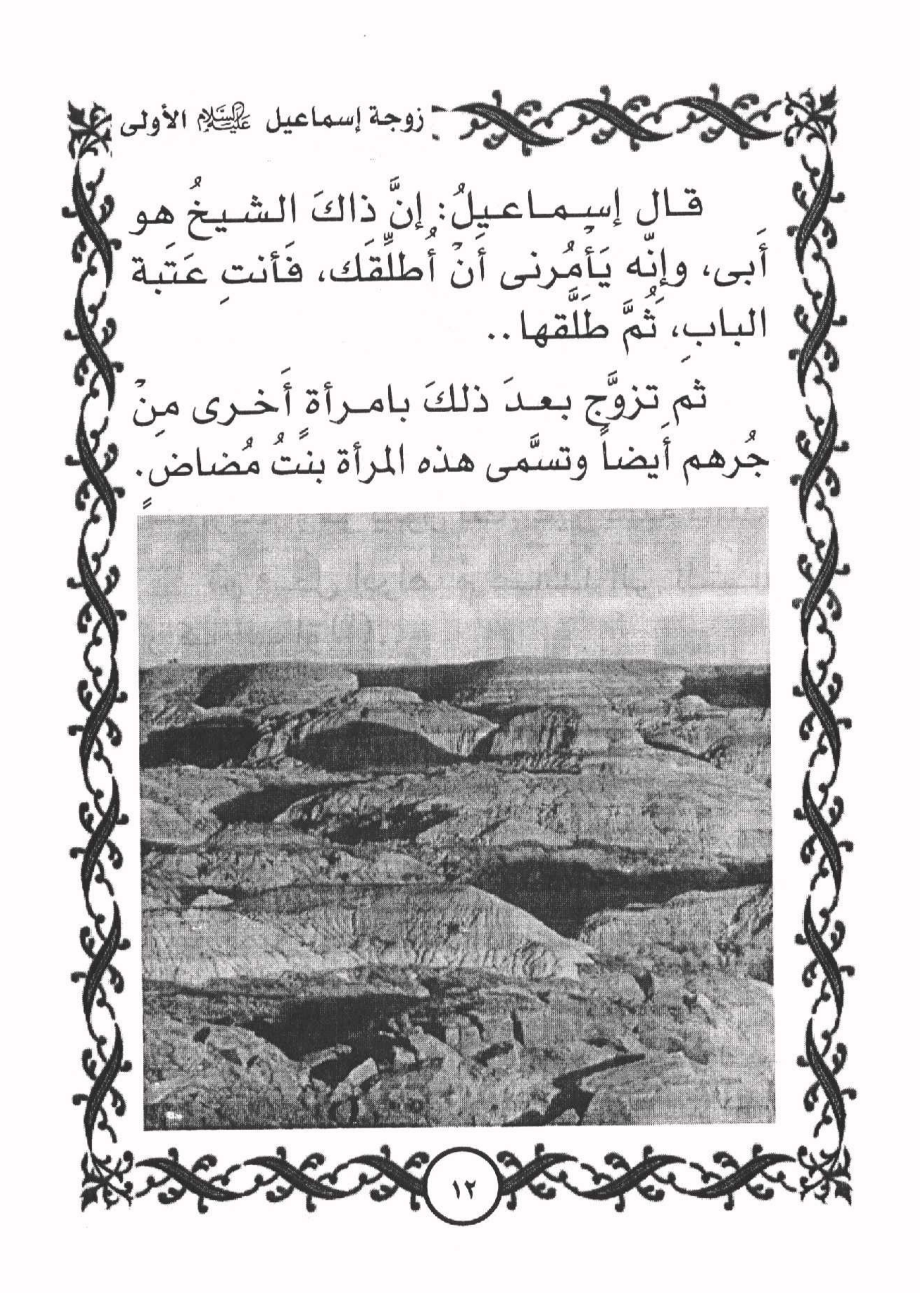
قالتْ: نَعم، شيخٌ صفته كَذا وكَذا، وهو يُقرؤك السلامَ، ويَقولُ لكَ: غَيِّر عَتَبة بابك.

---

(١) (البراق) دابة ما بين الحمار والبغل، يضع قدمه عند منتهى بصره (يعنى سرعته مثل سرعة الضوء) وهو من الجنة.

قال إسماعيلُ: إنَّ ذاكَ الشيخُ هو أَبى، وإنّه يَأمُرنى أنْ أُطلِّقَك، فَأنتِ عَتَبة البابِ، ثُمَّ طَلَّقها..

ثم تزوَّج بعدَ ذلكَ بامرأة أَخرى مِنْ جُرهم أيضاً وتسَّمى هذه المرأة بنتُ مُضاضٍ.



زوجة إسماعيل عليه السلام الثانية السيدةُ بنت مُضاض ابنِ عمرٍو الجُرهمى

تزوَّج إسماعيلُ عليه السلام بابنة مُضاض بَعد ما طَلَّق عمارة، وعَلى العكس مِنْ عمارة كَانتْ بنتُ مُضاض امرأةً رقيقةً طَيبةً، مؤمنةً راضيةً بقسم الله وبقضائه.

وعاشتْ مع إسماعيلَ عليه السلام عيشةً هنيةً راضيةً مطمئنةً وولدتْ له اثنا عَشَر وَلَداً، وكان إسماعيلُ حينئذ نبيًا مرسلاً لأهل هذه البلدة الذين هم العمَاليق، فكانتْ مؤمنةً به وكانَتْ تُعينه على رسالته، وتَصبرُ مَعه فى السرَّاءِ والضراءِ، وفى

العُسر واليُسر، لا تَشتكى ولا تضجُر ولا تَتملمَلْ، وهَذاَ ما أحسَّه منها إبراهيمُ الخليلُ عليه السلام حينَ زار إسماعيلَ فى بيته فلم يجده، ووجدَ امرأته هذه، فسألهاَ: أين إسماعيلُ؟

قالتْ: ذهب يصطاد.

فقال: وكيفَ حالُكم؟

قالت: نحنُ والحمدُ لله فى خيرٍ ونعمةٍ.

قال: فما طَعامُكم؟

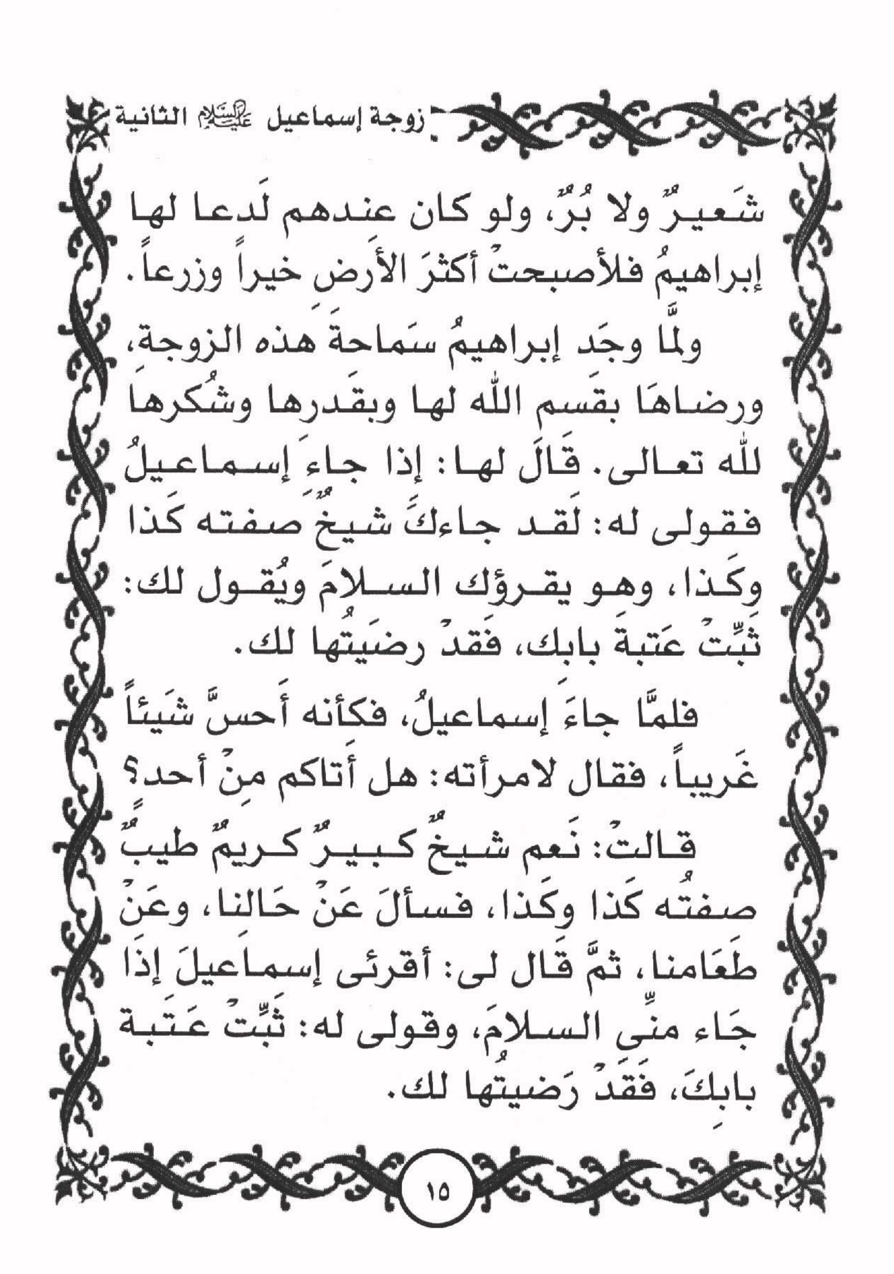
قالت: اللحمُ.

قال: فَما شرابُكم؟

قالت: الماءُ.

قال: اللهمَّ باركْ لهُم فى اللَّحم والماءِ (قَالها ثلاَثاً).

ولم يكنْ عِندهم حينئذ تَمرٌ ولا



شَعيرٌ ولا بُرٌ، ولو كان عندهم لَدعا لها إبراهيمُ فلأصبحتْ أكثرَ الأرضِ خيراً وزرعاً.

ولمَّا وجَد إبراهيمُ سَماحةَ هذه الزوجة، ورضاهَا بقَسم الله لها وبقَدرها وشُكرها لله تعالى. قَالَ لها: إذا جاءَ إسماعيلُ فقولى له: لَقد جاءكَ شيخٌ صفته كَذا وكَذا، وهو يقرؤك السلامَ ويُقول لك: ثَبِّتْ عَتبةَ بابك، فَقدْ رضَيتُها لك.

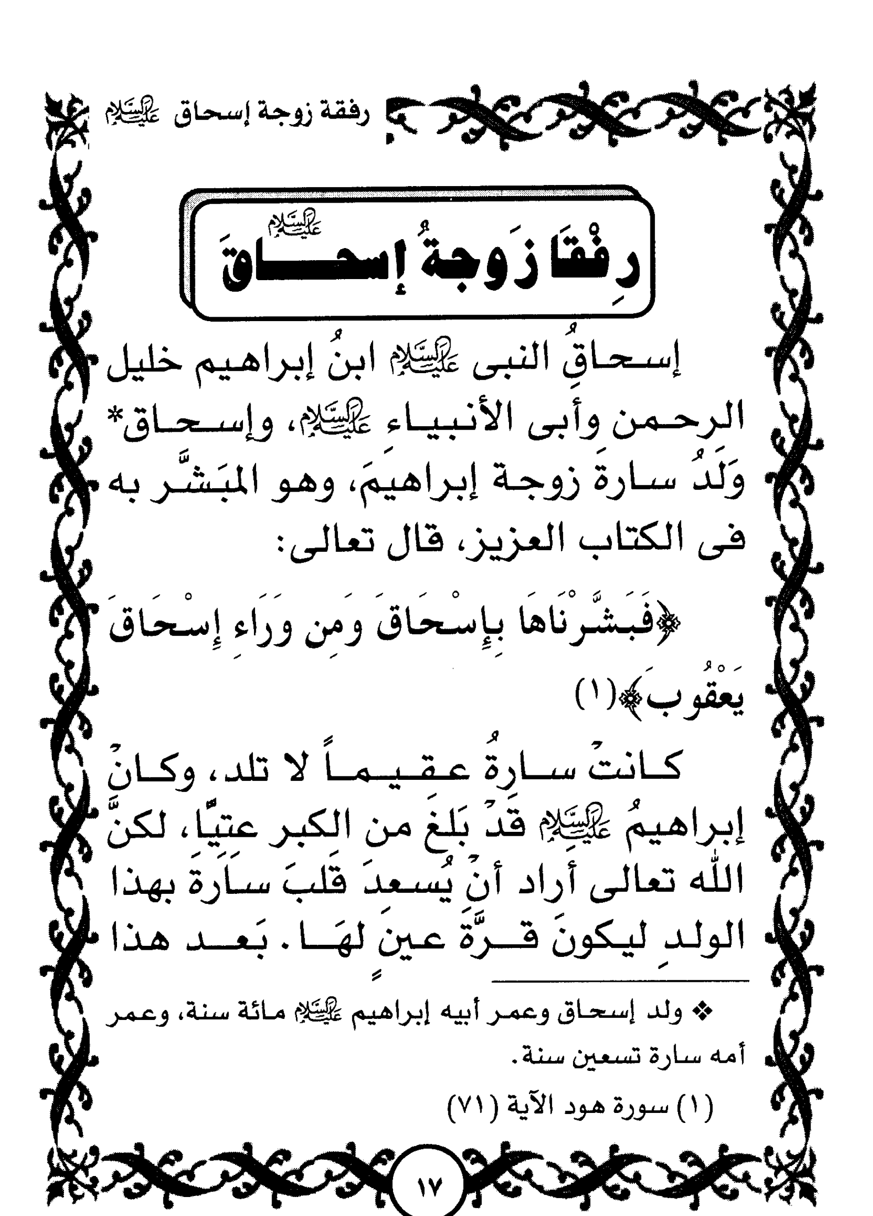
فلمَّا جاءَ إسماعيلُ، فكأنه أَحسَّ شَيئاً غَريباً، فقال لامرأته: هل أَتاكم مِنْ أحد؟

قالتْ: نَعم شيخٌ كبيرٌ كريمٌ طيبٌ صفتُه كَذا وكَذا، فسألَ عَنْ حَالنا، وعَنْ طعَامنا، ثمَّ قَال لى: أقرئى إسماعيلَ إذَا جَاء منِّى السلامَ، وقولى له: ثَبِّتْ عَتَبة بابِكَ، فَقَدْ رَضيتُها لك.

قال إسماعيلُ: ذاكَ أبىَ، وإنَّه يرضىَ عنكِ، ويأمُرنى أنْ لا أُفارقك.

ولقدْ ماتَ إسماعيلُ عليه السلام عن عُمر يناهز ١٣٧ عاماً، ويُعتبر إسماعيل هو أبو العرب، فَعرَبُ الحجازِ جَميعاً مِنْ نَسلِ ولِديه «نابت» و«قيذار».





رِفْقَا زَوجةُ إسحاقَ عليه السلام

إسحاقُ النبى عليه السلام ابنُ إبراهيم خليل الرحمن وأبى الأنبياء عليه السلام، وإسحاق* وَلَدُ سارةَ زوجة إبراهيمَ، وهو المبَشَّر به فى الكتاب العزيز، قال تعالى:

﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾(١)

كانتْ سارةُ عقيماً لا تلد، وكانْ إبراهيمُ عليه السلام قدْ بَلغَ من الكبر عتيًا، لكنَّ اللّه تعالى أراد أنْ يُسعدَ قلبَ سارَةَ بهذا الولدِ ليكونَ قرَّةَ عينٍ لهَا. بَعد هذا

* ولد إسحاق وعمر أبيه إبراهيم عليه السلام مائة سنة، وعمر أمه سارة تسعين سنة.

(١) سورة هود الآية (٧١)

الصبرِ الطويل.

وبعد مَا وُلدَ لإبراهيمَ ولدٌ آخر هو إسماعيل وَلدُ هَاجرِ عليها السلام. وكَبُر إســحــاق مَعَ والديه بالشَّــام إبراهيمَ وسارةَ، حتَّى بَلغ أشدَّه، وأصبَحَ شاباً قوياً يافعاً. ثمَّ تزوج امرأةً تدعى «رفقا بنتُ بَتويل بن إلياس»

فولَدت له ولَدَين وهما «يَعقوبُ والعيصُ» قيل أنهما كانا تَوأميّن، فَولدَ العيصُ أولاً ثم جَاء فى عَقبه (يعقوبُ) لذا سمُّوه بهذا الاسم(١)، واللّه أعلم.

ثم تزوج العيص، من ابنة عَمه «بَسمة ابنةِ إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام»

---

(١) انظر (تاريخ الأمم والملوك ١/١٩٠) لابن جرير الطبرى ـ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٠٧ هـ.

فـولَدت لـه (الرومَ) ويسـمُّـون (بنى الأَصفر) فهم جميعاً مِنْ نسلِ «العيص» بن إسحاق عليه السلام.

وتزوَّج يعقوبُ(١) عليه السلام ابنةُ خاله «لَيا» ابنة لبان بن بتويل بن إلياس، فولدتْ له «رُوبيل» فكانْ أكبرَ ولدِه، ثم ولَدَت له (شمعون) و«لاوى» و«يهـوذا» و«زبالونِ» و«يسـحـر» وولدت له ابنته «دينة» ابنةِ يعقوب.

ثم توفِّيَت «ليـا» زوجـةُ يعقـوبَ عليه السلام فتزوَّجَ بعدهَا أُختَها «راحيل» فولدَتَ له «يوسفَ» عليه السلام و«بنيامين».

وهَكذا أكـثُـر أَبنـاءَ إسـحـاقَ عليه السلام، وذريتـه وكـانَ منهُم الأنبيـاءُ، ومنهم غـيـرُ الأنبـيـاءِ، وكـانَ منهمُ الصـالحـون، ومنهم

(١) «يعقوب» واسمه «إسرائيل» وإليه ينتسب بنو إسرائيل.

غيرُ ذلك.

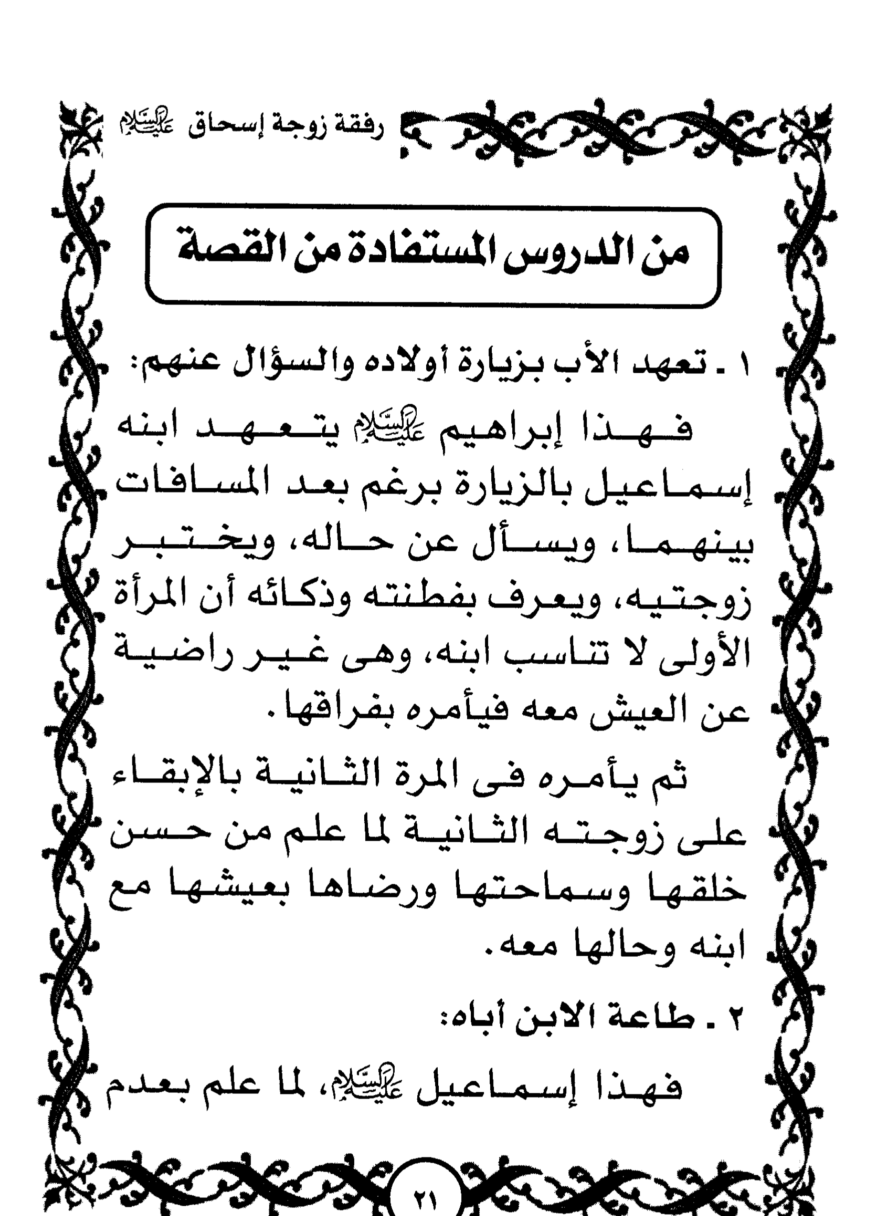
قَال تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾(١)

وذكر أنَّ إسحاقَ عليه السلام حين تزوَّج (رفقا) كانَ عمره آنذاك أربعين سنة، وكانتْ عَقيماً لا تَلد فَدعَا اللّه لها، فرزقَه اللّهُ بولدين تَوأمين هما (العيص ويعقوب) كما سبق ذكره.

وذُكَرت أخبارٌ أُخرى غَريبة، وغير مفيدة، فاقْتَصرنا عَلى ما نَحسَبُه ذَا فَائدةٍ وعبرةٍ. وعَلى اللّه قصدُ السبيلِ.

---

(١) سورة الصافات الآيات (١١٢، ١١٣).



من الدروس المستفادة من القصة

١ ـ تعهد الأب بزيارة أولاده والسؤال عنهم:

فهذا إبراهيم عليه السلام يتعهد ابنه إسماعيل بالزيارة برغم بعد المسافات بينهما، ويسأل عن حاله، ويختبر زوجتيه، ويعرف بفطنته وذكائه أن المرأة الأولى لا تناسب ابنه، وهى غير راضية عن العيش معه فيأمره بفراقها.

ثم يأمره فى المرة الثانية بالإبقاء على زوجته الثانية لما علم من حسن خلقها وسماحتها ورضاها بعيشها مع ابنه وحالها معه.

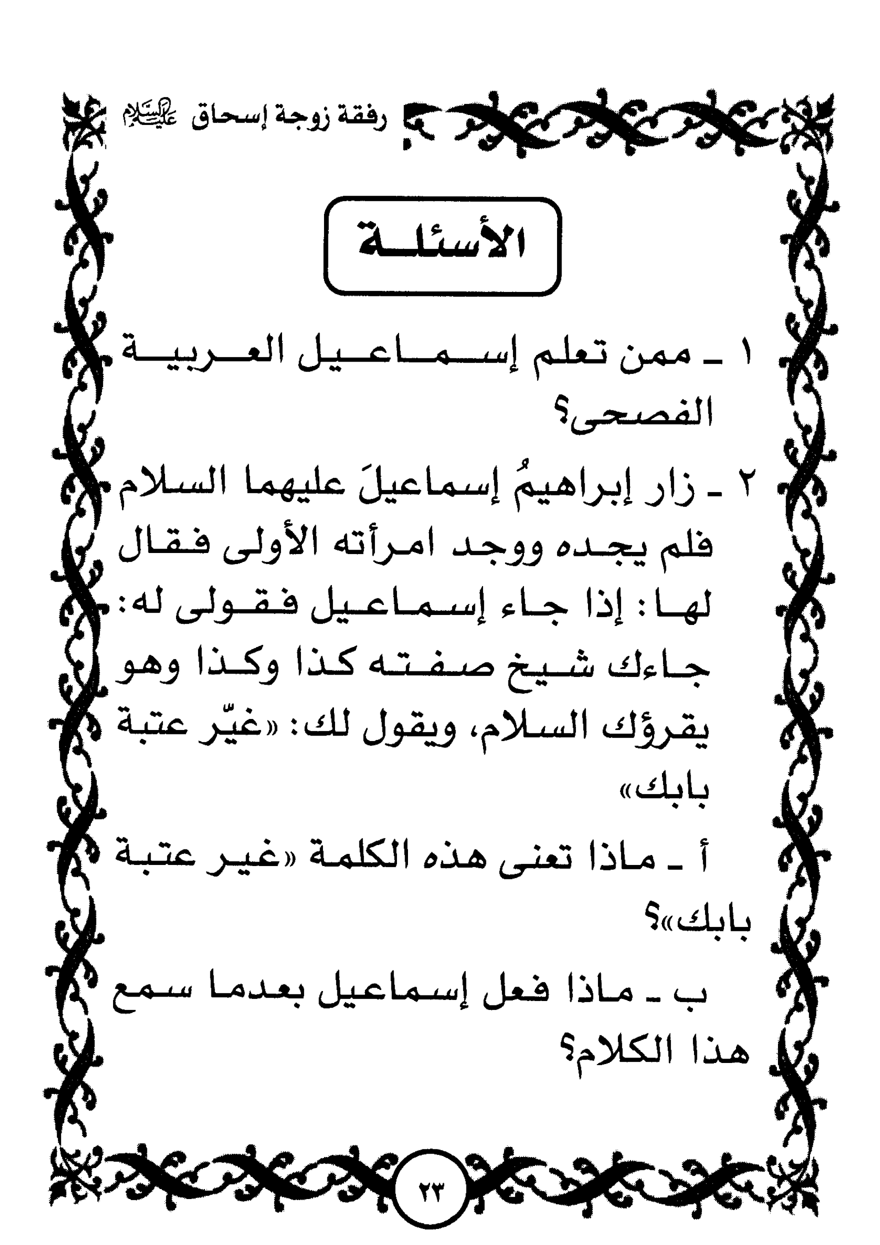
٢ ـ طاعة الابن أباه:

فهذا إسماعيل عليه السلام، لما علم بعدم

رضا والده عن زوجته، ووالده نبى وهو لن يطلق الكلام هكذا جزافاً من غير تأكد، وإنما عن علم وخبرة وبصيرة، فاستمع لكلامه، ونفذ نصيحته وطلق زوجته وتزوج بغيرها، فكانت الأخرى خيرًا منها.

٣ ـ حسن عشرة الزوجة زوجها ورضاها عن حالها:

من الأمور التى لا تستقيم بدونها الحياة الزوجية حسن العشرة بين الزوجين، وخصوصاً من قبل الزوجة لزوجها. وأن تكون راضية عن حالها معه، وعن عيشتها، ولا تشتكى للناس عن سوء حالها معه، فإن هذا من سوء الأدب. ومن السخط الذى لايرضاه رب العالمين.



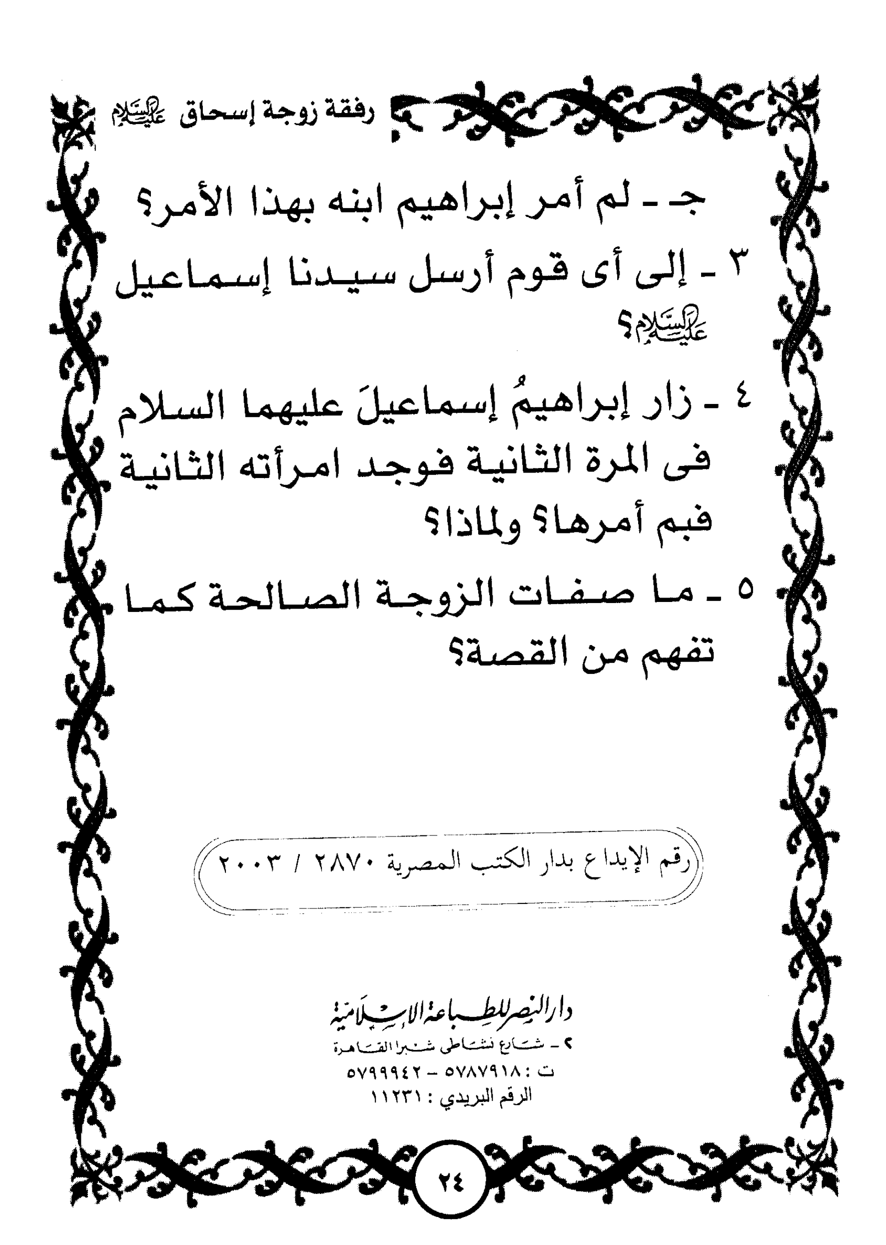
الأسئلة

١ ـ ممن تعلم إسماعيل العربية الفصحى؟

٢ ـ زار إبراهيمُ إسماعيلَ عليهما السلام فلم يجده ووجد امرأته الأولى فقال لها: إذا جاء إسماعيل فقولى له: جاءك شيخ صفته كذا وكذا وهو يقرؤك السلام، ويقول لك: «غيّر عتبة بابك»

أ ـ ماذا تعنى هذه الكلمة «غير عتبة بابك»؟

ب ـ ماذا فعل إسماعيل بعدما سمع هذا الكلام؟



جـ - لم أمر إبراهيم ابنه بهذا الأمر؟

٣ - إلى أى قوم أرسل سيدنا إسماعيل عليه السلام؟

٤ - زار إبراهيمُ إسماعيلَ عليهما السلام فى المرة الثانية فوجد امرأته الثانية فبم أمرها؟ ولماذا؟

٥ - ما صفات الزوجة الصالحة كما تفهم من القصة؟

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٨٧٠ / ٢٠٠٣

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
ت : ٥٧٨٧٩١٨ - ٥٧٩٩٩٤٢
الرقم البريدي : ١١٢٣١